Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بهـــا وقـوف شـحـيح ضـاع فى التـرب خـاتمه

فقيل له : كم قدر ما يقف الشحيح على الخاتم ؟ قال : أربعين يوما . فقيل له : ومن أين علمت ذلك ؟ قال : سليمان بن داود عليهما السلام وقف على طلب الخاتم أربعين يوما . فقيل له : ومن أين علمت أنه بخيل ؟ قال : من قوله تعالى « وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى » وما كان عليه أن يهب الله لعباده أضعاف ملكه » (٧).

ولو صح هذا الخبر عن أبى العلاء لكان أقرب إلى الدعابة منه إلى الجد ، لأن رده على من يرميه بالإسراف فى الاعتداد بشعرية المتنبى بذكر هذا البيت على وجه التحديد ، مع ما فيه من تصوير قريب ، إنما ينصرف إلى خلق مناسبة للاستطراد ، واستعراض علمه بأخبار الأقدمين ، ومعابثته لسير بعض الأنبياء بنقدهم معتمدا على النص المقدس ، أما البيت فى حد ذاته فلا يقدم دليلا واضحا على تفوق المتنبى المطلق واستئثاره بلقب الشاعر دون سواه. وأكثر منه دلالة على سر إعجاب المعرى بأبى الطيب ما يذكره « ابن الشجرى » فى أماليه من أن أبا العلاء قال فى قول المتنبى :

إلف هذا الهـــواء أوقع فى الأنفس أن الحـــمـــام مـــــــر المذاق

والأسى قـبل فـرقـة الروح عـجـز والأسى لا يكون بعـد الفـــراق

هذان البيتان يفضلان كتابا من كتب الفلسفة ، لأنهما متناهيان فى الصدق وحسن النظام ، ولو لم يقل شاعر سواهما لكان فيهما جمال وشرف (٨).

فالصدق والنبل والجمال وحسن الصياغة قيم فكرية وفنية تشير إلى أسباب تعلقه بمحاوره الأول وتمثله لعالمه وإيثاره له .

ويبدو أن المعرى بدوره كان بالغ الصدق فى ولائه الفنى لصاحبه حتى ليخاصم أصحاب الجاه والسطوة من أجله ويرد غيبته ويدفع عنه التهم بذكاء شديد وتعريض لماح ، ومن ذلك ما يروى من أنه كان يوما حاضرا فى مجلس الشريف المرتضى ، وهو شقيق الشريف الرضى الشاعر العلوى المشهور ، فجرى ذكر المتنبى ، فهضم المرتضى من جانبه ، فقال المعرى : لو لم يكن له من شعر إلا قوله :